مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الطاولة المستديرة
الندوة الرابعة

كيف تواجه الثقافة الفلسطينية معركة الذاكرة والهوية

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي

ذو الحجة ١٤٤٦هـ
28 يوليو 2025

مدخل

في إطار حرص مركز الخليج للأبحاث على تعزيز النشاط البحثي والمعرفي المتعلق بالقضية الفلسطينية، عقد البرنامج الثقافي والإعلامي في المركز بتاريخ 28 يوليو 2025 ندوة الطاولة المستديرة بعنوان: «كيف تواجه الثقافة الفلسطينية معركة الذاكرة والهوية»

وتحدث في الندوة الباحث الأردني في السياسات الاجتماعية والثقافية والعربية الأستاذ سليم فهمي نقل، والكاتب الفلسطيني الدكتور صالح الشحري، والباحثة الفلسطينية إسراء محمد صالح، فيما أدارها مدير البرنامج الثقافي والإعلامي في المركز الدكتور زيد الفضيل

وتأتي الندوة لتبني على دراسة بحثية موسَّعة نشرها الأستاذ نقل في المركز بعنوان «المقاومة الثقافية: معركة الذاكرة والهوية الفلسطينية» وتناول فيها تحوُّل الفعل الثقافي الفلسطيني من أداة للحفاظ على الهوية إلى قوة فاعلة في الصراع، ممتدة من جدران القرى المهجَّرة إلى شاشات العالم الرقمي، ومن الأغاني الشعبية إلى حملات المقاطعة العالمية

كما تأتي ندوة الطاولة المستديرة بعد أسبوعين من عقد المركز ندوة مشابهة في سياق برنامج «الموقف الثقافي» بعنوان «كيفية الاستفادة من تنامي الوعي الغربي ازاء القضية الفلسطينية»، بمشاركة نخبة من المسؤولين والمثقفين والدبلوماسيين العرب لبحث مقاربات معمقة في استثمار التعاطف الغربي المتزايد مع الشعب الفلسطيني، والبناء عليه في حراك ثقافي واجتماعي سياسي منهجي، ينتقل بالقضية من مرحلة التعاطف إلى مرحلة المكاسب السياسية

ويأمل المركز أنْ تؤسس هذه الأنشطة لمقاربة جديدة شمولية في التعاطي مع القضية الفلسطينية تأخذ بعين الاعتبار تعدد أبعادها، والحاجة إلى رؤية شاملة للتعاطي مع القضية في مرحلة جديدة تتسم بالتعقيد، وتضطلع فيها عوامل الثقافة بدور لا يقل خطورة عن الذي تضطلع به عوامل السياسة والأمن والاقتصاد

لمشاهدة الندوة: اضغط هنا

ويستعرض التقرير الآتي وقائع ندوة الطاولة المستديرة، وما طرح فيها من نقاشات وما أسفرت عنه من توصيات:

الدكتور زيد الفضيل

بسم الله الرحمن الرحيم. أهلاً وسهلاً ومرحبا بكم الضيوف الأكارم معنا في هذه الندوة والمشاركين وكذلك المستمعين لنا عبر شاشة الزوم.

أهلاً وسهلاً بكم في الندوة الثانية في هذا الشهر حول فلسطين. ولا زالت فلسطين هي المحور الرئيسي الذي ننطلق منه، فهي قضية القضايا بالنسبة لنا في المملكة العربية السعودية، ونحن ملتزمون بهذه القضية على النطاق الرسمي، وملتزمون بها على النطاق الشعبي، منذ عهد الملك عبد العزيز، والملك سعود، والملك فيصل شهيد القدس كما نقول، مرورا بالملك خالد، والملك فهد، والملك عبد الله، ووصولاً إلى هذه المرحلة التي نحن فيها في عهد الملك سلمان الذي أطلق على مؤتمر القمة العربية السابق مؤتمر القدس، ثم سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي قاوم وثبت على رأيه بأنَّه لا يمكن أن يحدث هناك أي اتفاق أو مفاوضات سلام مع دولة إسرائيل إلا بقبول حل الدولتين، وجعل مؤتمراً دولياً في هذا الباب ضم القمة الإسلامية والقمة العربية، وعمل أيضاً التحالف الدولي لحل الدولتين، وبالأمس ماكرون أعلن إيمانه بهذه القضية، وهناك تتابع دولي بالرغم من ممانعة إسرائيل برئاسة حكومة الإبادة بها، والتي يقودها نتنياهو وإعلان الكنيست بتصويت واحد وسبعين نائباً لضم الضفة الغربية والأغوار، وكأنهم أسقطوا أوسلو وما بعد أوسلو

بالرغم من كل هذه الإجراءات التي تقيمها إسرائيل، إلا أننا سنظلُّ مقاومين بما نملك، وسنظلُّ ثابتين على رأينا بما نستطيع. وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح. جنوب إفريقيا ناضلت، وفي النهاية لم يصح إلا الصحيح. وعاد نيلسون مانديلا، وخرج من سجنه وتولى الحكم، وقدَّم تجربة ناضجة في إدارة الحكم. الأمل كبير في هذا الباب، ونحن حريصون على أن نثبت على ذلك بشكل أو بآخر.

موضوعنا اليوم هو الذاكرة محور الثقافة الفلسطينية، إنها معركة الذاكرة والهوية. كتبت في دراسة موسعة بعنوان «التاريخ قوة دافعة للأمام» فقرة حول مركزية الذاكرة في حلبة الصراع العالمي، ولعلي أجعلها مقدمة لحديثي. حيث قلت: إنَّ أخطر ما تواجهه أي أمة كامنٌ في تغييب ذاكرتها الوطنية والقومية، وهو ما يسهم في تكريس حالة الاستيلاء، ويعطي الآخر القدرة على السيطرة الذهنية، وتسيير الإنسان في الإطار المقترح له دون وعي أو إدراك، وهو ما تفهم أهميتَه المؤسساتُ الغربيةُ المعاصرة التي تعمل جاهدة على السيطرة على مدخلات ومخرجات تلك الذاكرة والتحكم في محتواها الوظيفي والمعرفي.

وفي ذلك يمكن قراءة إعلان الرئيس الفرنسي ماكرون بتكليف المؤرخ بنجامين ستورا بمهمة تتعلق بذاكرة الاحتلال الفرنسي للجزائر بهدف تعزيز المصالحة بين الشعبين الفرنسي والجزائري، وفق قوله، حيث كتب في رسالته لتكليف ستورا قائلاً: من المهم أنْ يعرف تاريخ حرب الجزائر وينظر إليه بشكل واضح. الأمر الذي يتعلق براحة وصفاء الذين أضرت بهم ويمنح شبابنا إمكانية الخروج من النزاعات المتعلقة بالذاكرة.

> إذًا، هي الذاكرة التي يراد محو أو استبدال محتواها بمعلومات جديدة تتوافق مع إرادة العصر، وهو التاريخ الذي يشكل عنواناً رئيساً في خارطة المعرفة لدى الدول المتقدمة إجمالاً. في الوقت الذي ألفنا أنْ ننظر إلى «التاريخ» بازدراء حتى بات هامشاً في ثقافتنا، تقليدياً في ذهننا، مؤبوءًا بروايات ضعيفة، ومسكوناً بهيبة السلطة وتأثيرها على مختلف الأزمان والأماكن، لا سيما في قرون التأسيس لتاريخنا الإسلامي الذي يمثل ساحة لمعركة حامية بين قراءتين مختلفتين إنْ لم يكن أكثر.

وفي محور الصراع القادم في منطقة الشرق الأوسط تحديداً، فإنَّ من يملك القدرة على كتابة التاريخ والتحكم في محتوى صندوق الذاكرة، سيخط بثبات وثيقةَ انتصاره حضارياً، وهو ما تسعى له باهتمام دولة إسرائيل التي توسعت في إنشاء حاويات الفكر ومراكز الرأي (Think tanks) لتمدَّ أصحاب القرار السياسي ووسائل الإعلام بتحليلات ودراسات تتعلَّق بكل القضايا المهمة.

ومن تلك المراكز وفق دراسات سابقة نشرتها مجلة «أراء حول الخليج»، معهد بن تسفي للدراسات اليهودية، ومعهد موشي ديان للدراسات الإفريقية، ومعهد هاري ترومان، وأكاديمية العلوم التاريخية، ومعهد الدراسات الشرقية في القدس وغيرها.

إذًا، هي معركة الذاكرة، ومعركة الهوية التي نقودها اليوم في صراعنا مع دولة الكيان الإسرائيلي المحتلة لأراضي فلسطين العربية. وعلينا أنْ نقاوم مثلما نقاوم بالاستشهاد ومثلما نقاوم بدمائنا، علينا أنْ نقاوم أيضاً بفكرنا، وعلينا أنْ نقاوم بقلمنا، وعلينا أنْ نقاوم بالحفاظ على هويتنا.

هذه الندوة تبحث في هذا الإطار، المقاومة الثقافية الفلسطينية معركة الذاكرة والهوية. وهي مع ضيوفنا الأكارم الذين يشاركوننا هذه الندوة، وآخرين كذلك يستمعون إلينا، ويمكن لهم أن يشاركوا بالتعليق والمداخلة متى ما أرادوا بعد انتهاء ضيوفنا من تعليقاتهم الرئيسية

معنا في هذه الندوة الأستاذ سليم نقل، وهو الباحث الرئيسي الذي كتب هذه الدراسة، التي نجعلها منصة في حديثنا هذا، ويستطيع الآخرون أن يشاهدوا هذه الدراسة في موقع مركز الخليج للأبحاث. ونحن كذلك سنضعها في صندوق الوصف عندما ننشر هذه المادة على قناة اليوتيوب. والأستاذ سليم باحث أردني تتركز اهتماماته حول السياسات الاجتماعية والثقافية في السياقات العربية، ويركز على بلاد الشام بشكل خاص. وهو خبير في الاتصال الإستراتيجي وبناء القدرات. يشغل منصب الرئيس التنفيذي لشركة الجوهر للدراسات والابحاث، وهي مؤسسة أردنية غير ربحية تعنى بإنتاج المحتوى وبناء السرديات وتنفيذ البرامج الثقافية والمجتمعية. يتمتع نقل بخبرة تتجاوز العشرين عاماً في الإدارة التنفيذية. يحمل درجة الماجستير في الشؤون الدولية من الكلية الملكية بلندن، وأيضاً ماجستير تنفيذي في سياسات وممارسات

التنمية من معهد الدراسات الدولية والتنموية في جنيف، إلى جانب العديد من الشهادات في القيادة وتنظيم التغيير الاجتماعي، وقاد مبادرات متنوعة في قضايا العدالة وحقوق الانسان. وغيرها. أستاذ سليم الميكروفون كما يقال لك لتعرض محتوى الدراسة التي أنت قدمت فيها. ثم بعد ذلك أنتقل إلى ضيفينا الآخرين الذين سنعرف بهم في حينه. تفضل أستاذ سليم

لمشاهدة الكلمة: اضغط هنا

أ. سليم نقل

بداية أتقدم بالشكر لمركز الخليج للأبحاث على نشر هذه الدراسة التي قمت بإعدادها في الفترة الماضية، وعلى الاستضافة اليوم ضمن مختبر الحوار الخليجي، والشكر موصول للدكتور عبد العزيز بن صقر، ولحضرتك دكتور زيد الفضيل على هذا الاهتمام بالموضوع، وعلى هذه الندوة القيمة

بداية أودُّ أنْ أشير إلى أنَّ هذه الدراسة ليست دراسة شاملة، بمعنى أنَّه بالطبع لم أستطع توثيق جميع الأسماء والأعمال التي قدَّمها الشعب الفلسطيني عبر أكثر من قرن من الزمن، بل هي إضاءات تُقدِّم تصوراً واقعياً للمقاومة الثقافية من جهة، ومحاولات العدو المستمرة من جهة أخرى لوأد هذا الحراك المستمر.

في فلسطين، الثقافة ليست ترفاً أو مساحة للتأمل فقط، بل هي مقاومة.. نبضٌ بالحياة على جدران المخيمات، وفي الشتات، وفي القصيدة، وفي التطريز، وفي اسم قرية حذفه الاحتلال من الخرائط وظلّ عالقا في الوجدان. وبالطبع قضية النضال فُرِضَت على الفلسطيني بأن تكون جوهراً لوجوده، وقد توارثتها الأجيالُ جيلاً بعد جيل يحملون الشعلة لتستمر القضية.

هي قضية متشابكة مرتبطة كأعضاء الجسد بكل أبعادها وتاريخها، وليست قضايا جزئية بمعزل عن بعضها البعض. والمقاومة الثقافية الفلسطينية هي مكونٌ رئيس في هذه المسيرة المستمرة، بل سبقت فعلياً أشكالَ النضال الأخرى، وكانت في طليعتها دوماً، كما سنوضح بعد قليل. والمثقف والمفكر الفلسطيني كان على الدوام هدفاً لآلة الموت الصهيونية منذ البدايات. والأدلة كثيرة على استهداف المئات منهم بالقتل أو الأسر والإبعاد والمنع عبر العقود الماضية. وحتى في استهداف الصحفيين والناشطين الإعلاميين في غزة والضفة اليوم دليلٌ واضحٌ تماماً على أهمية هذا البعد في مسيرة النضال.

أمَّا فيما يتعلق بالدراسة المعنونة «المقاومة الثقافية: معركة الذاكرة والهوية الفلسطينية»،

فإنَّها تتناول كيفية تحوُّل الثقافة الفلسطينية من مُكوِّن هوية إلى ساحة نضال قائمة بذاتها، وتقدِّم تفكيكاً زمنياً ومعرفياً لمحاولات الاستعمار الإسرائيلي لتقويض الوعي الجمعي الفلسطيني، من خلال إستراتيجية منظمة تستهدف محو الذاكرة، وتفكيك البنية الرمزية لهذا الشعب. وهذا البعد الثقافي مغفل نسبياً في تناول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بوصفه ساحة مركزية للمواجهة.

لقد سعيت من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أنَّ الاستعمار الصهيوني لم يكتفِ باحتلال الأرض، بل سعى إلى بناء بديل شامل من طمس للأسماء، ومحو للمعالم، وتهويد اللغة والمكان، وسرقة عناصر التراث المادي والمعنوي، وذلك في إطار سعيه لتفريغ فلسطين من معناها التاريخي والإنساني. فالمسألة لم تكن يوماً فقط صراعاً على الأرض، بل هي أيضاً معركة على الرواية وعلى الموروث والذاكرة.

ومن اللافت أن جذور فكرة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، والتي كانت ولا تزال شعار الصهيونية، بدأت في الأوساط البروتستانتية البريطانية خلال منتصف القرن التاسع عشر، وسبقت بسنين طويلة بداية عمل الحركة الصهيونية، وتواكبت مع نشوء الحركة الاسترجاعية المسيحية، حيث صاغها لأول مرة القس الأسكتلندي ألكسندر كيث بين عامي 1843-1844، ولاحقاً روَّج لها السياسيُ البريطاني اللورد شافتسبري عام 1853 في خطاب سياسي قال فيه: إن «بلاد الشام، وليس فقط فلسطين، أرضٌ بلا أمَّة لأمة بلا وطن»، في سياق دعم استعمار فلسطين عبر اليهود تمهيداً لعودة المسيح من وجهة النظر التي قدَّمها، أو قدمتها هذه الحركة الاسترجاعية في ذاك الوقت

بعدها بعقود، تأسست حركة «أحباء صهيون» عام 1882 كأول تنظيم يهودي يسعى للاستيطان في فلسطين. ومن ثم في 1896 نشر ثيودور هرتزل كتابه الدولة اليهودية، وأسَّس في العام التالي مؤتمر بازل الصهيوني، مطلقاً الصهيونية السياسية، بهدف إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وهكذا انتقلت الفكرة من إطار ديني استرجاعي مسيحي إلى مشروع استيطاني صهيوني استخدم لتبرير إنكار وجود الشعب الفلسطيني وتسويق المشروع الصهيوني في الغرب.

لم يكن الاستهدافُ للشعب الفلسطيني أو لفلسطين مقتصراً على الأرض، بل شمل الهوية بكل مكوناتها، وكان التركيزُ دوماً على محو الوعي الجمعي، فسعت دولة الاحتلال إلى محو التاريخ الفلسطيني وإحلال روايةٍ مصطنعةٍ توراتية محلَّ الرواية الأصلية.

أمَّا بخصوص الدراسة فقد تناولت الورقة ثلاث تحولات رئيسة في المقاومة الثقافية زمنياً. وقبل أن أشير إلى هذه المراحل أودُّ أنْ أوضح أنَّ رغبتي في إطلاق هذه الورقة وهذه الدراسة كان أننا بعد حدوث السابع من أكتوبر، كانت النقاشات في الأطر العالمية وفي المنصات والوسائل الإعلامية تتركز في أنَّ ما وقع في السابع من أكتوبر كان حدثاً مفاجئاً ولم يكن عملاً مستفزاً. فجاء الردُّ بأنَّ الأحداث أو أنَّ القضية لم

تبدأ من السابع من أكتوبر. وعاد الناس في التاريخ إلى عام 1948 مشيرين في معظم الجدالات والنقاشات إلى أن هذا التاريخ مثل بداية النكبة للشعب الفلسطيني. ولكن هذه الورقة ركزت على أننا نغفل نقطة مهمة، هي أنَّ هذا النضال بدأ منذ بداية القرن العشرين، منذ عام 1900 وما بعد ذلك فهناك حوالي 25 أو 48 عاماً سبقت النكبة.

هذه المرحلة أسست لما تلاها من أعوام وسنين من النضال الثقافي الفلسطيني، فكانت المرحلة التأسيسية منذ بداية القرن المنصرم. وبالإضافة للشخصيات السياسية والزعامات في المجتمع الفلسطيني آنذاك، برزت شخصيات مثقفة مثل الأستاذ عيسى العيسى، ونجيب نصار، وخليل السكاكيني، والمؤرخ الكبير عارف العارف ممَّن وظَّفوا الصحافة والأدب للتصدي للمشروع الصهيوني بشكل مبكر، وحتى ما قبل وعد بلفور 1917 وقاموا بتوثيق الوعي الوطني الفلسطيني، ومن ثم جاءت المنتديات الفلسطينية والجمعيات الثقافية والأندية الأدبية في القدس، ويافا، وحيفا، وغيرها كمراكز للنقاش والتخطيط المجتمعي، وحاضنات لهوية جمعية قيد التهديد.

وفي هذا الإطار، كانت تصدر الصحف في عدة مناسبات في تلك المرحلة بشكل مغاير عن وضعها المألوف. ففي بعض الأحيان، كانت تصدر الصحف كاملة باللون الأسود أو باللون الأبيض، في مثل يوم زيارة اللورد بلفور إلى فلسطين عام 1925. وكانت المواجهات تحدث دوماً مع المجموعات اليهودية في تلك المرحلة، مثل 1920 النبي موسى، أو انتفاضة البراق في القدس في محيط المسجد الأقصى 1929 أو في المرحلة الكبرى في الثورة الفلسطينية 1936 التي صاحبها إضرابٌ عامٌ دام ستة أشهر.

وبقي الصراع ما بين أصحاب الأرض وبين الوافدين الذين بدأوا يأتون من أوروبا من قبل 1900. وتركز ذلك بعد الحرب العالمية الثانية حتى حدوث النكبة عام 1948. فجاءت المرحلة الثانية من هذا النضال الثقافي والنضال المجتمعي الفلسطيني حيث تهجَّر مئات الآلاف ولم يعد هناك قيادة فلسطينية تجمع هذا الشعب على رأي واحد أو توجهه في أي خيارات، فكانت الرواية الشفهية في الشتات في المخيمات أداة مهمة ومتقدمة لحفظ الهوية وصون الذاكرة.

ومن بعد ذلك ظهر الأدب المقاوم كما في حالة الأديب الكبير غسان كنفاني ورواياته «عائد إلى حيفا» و«رجال في الشمس»، والتي قال فيها جملته الشهيرة: «لماذا لم يقرعوا جدران الخزان في صرخة وجع على الصمت أمام جرائم الاحتلال». وكذلك أشعار محمود درويش، وسميح القاسم، وحنظلة الذي قام الفنان الكاريكاتيري العظيم ناجي العلي برسمه. هذا الطفل حافي القدمين الذي أدار ظهره في عمر 10 أعوام، ولا زال ظهره لنا مدار. وباتت هذه الرموز حتى اليوم تستخدم في كل مكان بالعالم.

هذا التراكم في العمل الذي بدأ منذ بدايات القرن الماضي وحتى اليوم، فاليوم رمز حنظلة استخدم على سبيل المثال في السفينة ضمن أسطول الحرية الأسبوع الماضي، التي تم

إيقافها واعتقال ركابها قبل يومين من قبل قوات الاحتلال، فبات العالم كله يبحث ويسأل ما هو حنظلة؟ ومن هو حنظلة؟ وهذا الاستخدام للرموز هو مثال حقيقي كيف أننا نصنع من أدوات الثقافة قوة وأداة مهمة لتغيير الوعي الجمعي العالمي وليس فقط العربي أو الفلسطيني.

وفيما بعد ذلك، في أعقاب نكسة 67 وفي ظل نشوء أو بداية منظمة التحرير الفلسطينية، كان البعد الثقافي بعداً إستراتيجياً في أعمال المنظمة، وبرز الفن التشكيلي، والمسرح، والسينما كأدوات نضالية وثّقت التجربة وفضحت الاحتلال، وبعد ذلك أتينا في مرحلة الانتفاضتين، وكانت هي باكورة الحراك الشعبي الفلسطيني في داخل فلسطين، فقبل ذلك كانت كل العمليات تنطلق من الخارج، ولكن منذ 1987 بدأ الحراك الشعبي الفلسطيني في الداخل، وكان متناسقاً في كل الأحوال وفي جميع الأوقات مع العمل النضالي الشعبي والعمل الثقافي من الأغاني الثورية، ومن كتابة على الجدران، وأدوات مختلفة للتعبير عن المقاومة الميدانية

ولاحقاً وُظِّفت السينما المستقلة، والمسرح، والمحتوى الرقمي في العقدين المنصرمين ولغاية اليوم في إنتاج سردياتٍ مضادَّة على المستويين العربي والدولي، وكانت الأفلام الفلسطينية يحتفى بها على المستوى الدولي، وتحصد الجوائز، وتنال التكريمات، وتوصل الصوت الفلسطيني إلى كل مكان.

وأيضا برزت في الأعوام العشرة أو الـ15 الماضية مبادرات ثقافية تقاطعت مع حملات المقاطعة مثل BDS وغيرها، لتحاول أنْ تنشر الوعي على المستوى الشبابي والمستوى العالمي بشأن فظائع الاحتلال، ولماذا نستطيع أن نعمل الحراك المدني الثقافي تجاه ذلك

تناقش الورقة أيضاً كيفية استخدام إسرائيل لأدوات الإبادة الرمزية أو ما يعرف بمحو الذاكرة الجمعية عمداً. وكما قلت عبر تهويد أسماء القرى، والمدن، والشوارع في فلسطين، وسرقة واستنساخ المطبخ والموروث الشعبي الفلسطيني مثل الحمص، والفلافل، والثوب الفلسطيني، والذي نراه على سبيل المثال في بعض الطائرات لطيران العال يرتدون الثوب الفلسطيني، وحتى أغاني الفلكلور والموسيقى في سياق دعاية ممنهجة أو ما تسمى بالهسبراه بالعبري لإعادة تقديمه بهوية هجينة.

تحاول إسرائيل دوما أن تجد لنفسها مساحة وكأنها تشبه المنطقة، في تراثنا، وفي تاريخنا، وفي أرضنا، وفي موسيقانا، وفي كل موروثاتنا، فهي تحاول أنْ تسرق وتستنسخ، ثم تعيد تقديم ذلك كأداة لفرض نفسها كجزء من هذه المنطقة.

تعالج الورقة أيضاً محاور أكثر عمقاً تتعلّق بإعادة إنتاج الجغرافيا الفلسطينية، كما حاولوا عبر الدوام باستخدام عبرنة الأسماء. وهذا موضوع مهم جداً، لأن استخدام العبرنة لم يكن من خلال اللغة العبرية القديمة، بل هم استخدموا كلمات من اللغة العبرية تشبه في لفظها العربية، وحتى الأسماء التي يطلقونها على أنفسهم هي قريبة من اللغة العربية، وهذا خطير إلى حد ما.

وكذلك كان هناك تفكيك للمجال الثقافي الفلسطيني عبر سياسات الإلغاء، حيث تتبعت الورقة توثيقاً ممنهجاً لحظر الكتب وإغلاق المسارح والمكتبات، واغتيال المفكرين والفنانين الفلسطينيين مثل غسان كنفاني، وباسل الأعرج والعشرات غيرهم، إضافة إلى ملاحقة الفاعلين الثقافيين بتهم أمنية، مثل التحريض، وشيطنة كل عمل إبداعي يحمل ملامح الرواية الفلسطينية

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك استهداف دائم وممنهج للبنية الإنتاجية للثقافة الفلسطينية من خلال السيطرة على الموارد مثل المياه والزراعة. وقد عانت أشجارُ الزيتون وغيرها في فلسطين العديدَ من أعمال الاستيلاء والحرق وقلع الأشجار في محاولة لاستبدال التاريخ والموروث الزراعي الفلسطيني لأنه مرتبط ارتباطاً رئيسياً بالهوية الفلسطينية. ولكن الأهم، وما تسعى الورقة إلى تأكيده، هو أنَّ المقاومة الثقافية لم تكن مجرد فعل لرد فعل، بل شكَّلت على مدار أكثر من قرن مساراً استباقياً لبناء هوية جماعية متجددة، لم يكن الغرض منها الدفاع فقط عن الذاكرة، بل أيضاً إعادة إنتاجها بصيغ جديدة تفاعلية فنية تواصلية تشبك الأجيال مع بعضها البعض

وأودُّ في هذا الصدد أنْ أذكر الراحل الأستاذ عادل الترتير الذي توفي قبل أيام قليلة في رام الله، والذي لُقِّب بحارس الرواية الفلسطينية والموروث الشعبي، وهو الذي كرَّس حياته لنقل هذا الإرث من جيل إلى جيل، مستنداً إلى أدوات تقليدية مثل صندوق العجب وشخصية الحكواتي، بالإضافة إلى المسرح كمنصة تعبيرية.

وكانت القصص التي ينقلها مستلهمة من التراث الشعبي الفلسطيني، ولكنها في الوقت ذاته عكست الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه الشباب والشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، موفرة مساحة تربط الماضي بالحاضر، وكذلك من خلال تدريباته لمئات الشباب عبر عقود لم يكن هدفه حفظ الذاكرة فقط، بل ضمان استمراريتها كرسالة حية تروى وتجدد باستمرار

اليوم، في ظل المجازر المستمرة في غزة وفي الضفة، تحولت ذات الثقافة الفلسطينية من الرمزية إلى الإستراتيجية. الفعل الثقافي لم يعد فقط فعلاً للتوثيق أو للتعبير، بل وسيلة للتعبئة الدولية وكسر الرواية السائدة، وكشف بنية العنف الاستعماري المتقن.

ولي الآن خمس نقاط أو خمسة نقاط أختم فيها مداخلتي.

1 النقطة الأولى: كيف تتحول الثقافة إلى أداةٍ للمقاومة لا تقلُّ أهميةً عن العمل السياسي والميداني؟ فالثقافة تعيد تشكيل الوعي الجمعي وتحمي الهوية من التفكك تحت الضغط الاستعماري، وهي الوسيلة الأقدر على تخزين الذاكرة الجمعية أو توريثها، كما أنَّها تخلق حالة تعبئة وجدانية وشعبية لا توفرها الأدوات السياسية وحدها. لذلك تعتبر الثقافة امتداداً إستراتيجياً للمقاومة لا يقلُّ تأثيراً عن أي عمل نضالي آخر.

2 والنقطة الثانية هي الفرق ما بين الاستعمار المادي، والاستعمال الرمزي. فالاستعمار المادي يستهدف الأرض والسيطرة على الموارد، بينما الاستعمار الرمزي يسعى لمحو الرواية الأصلية واستبدالها برواية مصنَّعة تخدم مشروع الهيمنة. فالخطورة تكمن في أنَّ الاستعمار الرمزي غالباً ما يمارس بهدوء ويترك أثراً أطول على الهوية والذاكرة والانتماء

3 والنقطة الثالثة، لماذا تستهدف إسرائيل الثقافة الفلسطينية؟ لأنها تدرك أنَّ السيطرة على الأرض لا تكتمل دون السيطرة على المعنى. والثقافة تهدِّد السردية الصهيونية بفضح التزوير، وكشف فجوات المشروع الصهيوني الاستعماري. ومن هنا يجب أنْ ينظر إلى الفعل الثقافي الفلسطيني كمصدر قوة كما يراه العدو كمصدر خطر دائم، لأنَّه يُفكِّك الرواية الرسمية، ويعيد تثبيت الوجود الفلسطيني في الوعي العالمي اليوم.

4 والنقطة الرابعة والمهمة دور الجاليات الفلسطينية والشتات في حفظ الرواية الثقافية. الشتاتُ لم يكن مجرد امتداد جغرافي، بل حافظ ديناميكي للهوية. الجاليات الفلسطينية أعادت إنتاج الثقافة بوسائل جديدة. حافظت على الذاكرة وفعَّلت دور السردية الفلسطينية بلغاتٍ متعددة في ظل محاولات الطمس. في الداخل، أصبح الشتاتُ حاضناً أساسياً للرواية الثقافية ومصدراً للتأثير الخارجي.

5 والنقطة الأخيرة، هل يمكن استخدام أدوات رقمية جديدة في السوشيال ميديا والبودكاست وغيرها كامتداد للمقاومة الثقافية؟ بلا شك الفضاء الرقمي اليوم بات منصة رئيسية لإيصال الرواية الفلسطينية خارج القيود التقليدية التي نعرفها جميعاً من خلال التحكم بوسائل الإعلام المعتادة. فالسوشال ميديا اليوم أصبح من أهم الأدوات لتفكيك السردية الاستعمارية، وتوثيق التجربة الفلسطينية، وبناء تعاطف وتعاضد دولي شبابي عالمي. فهذه الأدوات تعيد تعريف المقاومة الثقافية بلغة العصر دون التفريط بجوهر القضية

وفي الختام، ما يواجه الفلسطيني اليوم لا يقتصر على النكبة المستمرة، بل على عملية إبادة للهوية يراد لها أنْ تتم على مراحل من محو للرموز وإسكاتٍ للغة، وتهميش الفعل الثقافي. ولكن كما أشارت الدراسة إلى ذلك، كلُّ محاولة للطمس تُقَابَل بعمل مضاد، وكلُّ فجوة في الحكاية يملؤها الفلسطيني بذاكرة جديدة.

لن تستطيع إسرائيل أن تحتل الذاكرة وإن حاولت، لأنَّ الرواية الفلسطينية تروى بألف شكل. وفي أغنية. وفي رسمة. وفي اسم قرية ما زال حيا. في اللاوعي الجمعي، وفي زمن تتآكل فيه الجغرافيا، قد تبقى الثقافة هي الجبهة الأخيرة والحصن الأخير.

لمشاهدة الكلمة: اضغط هنا

الدكتور زيد الفضيل

شكراً لك أستاذ سليم على هذا الملخص الوافي والكافي لهذه الدراسة المهمة، والتي أدعو الجميع إلى قراءتها والاطلاع عليها في موقع مركز الخليج للأبحاث أو في صندوق الوصف كما نقول عندما ننشر هذه الدراسة في الفيديو، وعندما ننشر تقريراً كاملاً حولها.

هذه مقدمة طرحها الأستاذ سليم وهي مقدمة مهمة. ونريد أنْ نسمع أيضاً مداخلةً، وتعليقاً، وإضافة من ضيفينا الكريمان. دعوني أبدأ بالأستاذة إسراء محمد صالح، وهي باحثة فلسطينية في قضايا الدولة في حالة الاحتلال، واللاجئين، والهوية، والثقافة. حاصلة على درجة الماجستير من معهد الدوحة للدراسات العليا. تنتمي إسراء إلى الجيل الذي تشكَّل وعيه داخل الحروب والحصار والشتات، ما جعلها تركز في أعمالها البحثية والأدبية على توثيق تجارب الغزيين ورواية ما تحاول الجغرافيا والاحتلال محوه إعلامياً وبحثياً. إسراء اهتمت أيضاً بالأدب الفلسطيني المقاوم، مثل رسائل غسان كنفاني، وغيرها، تركز إسراء في كتاباتها أو مداخلتها على كيفية مواجهة الثقافة الفلسطينية لمحاولات الطمس والتهميش، وهو موضوعنا الذي نتطرق إليه اليوم. ومعك المايك أستاذة إسراء، نستمع إلى حديثك تعليقاً، ومداخلة وإضافة وتسليطاً للضوء حول ما تقوم به إسرائيل من محاولة لنهب هذا التراث الفلسطيني المهم الذي هو جزء من تراث الأمة العربية والمسلمة

أ. إسراء صالح

شكراً دكتور زيد، وشكراً سليم على الدراسة المهمة. نستحي اليوم أنْ نتحدَّث عن الثقافة في ظل الزمن الذي بات فيه تجويع الطفل في قطاع غزة، وفي فلسطين، هو سياسة وثقافة الاحتلال الإسرائيلي. لأكثر من أربعة أشهر، ونحن نتحدث عن مجاعة كاملة مميتة في قطاع غزة. وللأسف أنَّ هذا لا يُعْتبر ولا يُرَى لأنَّ السياسة دائماً أقوى من الفعل، وأقوى من فم الطفل الجائع في قطاع غزة، فأنا على استحياء اليوم في هذه المداخلة، ولكن الموضوع جداً مهم، وهو ما يهمني جداً لأنْ ننطلق منه أيضاً ونتحدَّث بشكل موسع عن كيفية مواجهة الثقافة التي يعمل الاحتلال الإسرائيلي على تكريسها وتعزيزها

طبعاً في البداية، شكراً سليم مرة أخرى على هذه الدراسة المهمة، وأعتقد أنها تنسجم كثيراً في سياق ما كُتِبَ من قبل عن دور الثقافة في الرواية الفلسطينية وطريقة نقلها. وللأسف، فقدنا وبشكل وحشي خلال الإبادة على قطاع غزة الكثير من الرموز الذين كانوا يعملون بشكل مباشر على تعزيز ونقل الرواية الفلسطينية، ونقل الثقافة الفلسطينية للعالم، مثل الدكتور رفعت العرير، والعديد من الصحفيين وغيرهم.

ولكن إذا تحدثنا في إطار أكاديمي وثقافي من ناحية ترسيخ دراسي وأكاديمي ممنهج، فإننا للأسف فقدنا الكثير من الأصوات التي كانت ستعمل على أرشفة وتوثيق ونقل هذه الرواية للعالم، ولكن الخير إن شاء الله باقٍ فيمن سينجو من هذه الإبادة.

طبعاً الدراسة بنت مساراً تحليلياً مهماً، يتلخص في «المقاومة الثقافية: معركة الذاكرة والهوية الفلسطينية». الصراع على الذاكرة من ناحية رموز، ومن ناحية تاريخ، ومن ناحية مقاومة. وأقتبس هنا من الأستاذ سليم نقاطاً جداً مهمة، وهي:

كيف كانت الثقافة أداةً للحفاظ على الهوية وقوة فاعلة في الصراع أيضاً؟

وكيف عمل الاحتلال الإسرائيلي على تفكيك هوية الشعب الفلسطيني، في محاولة لطمس تاريخه ووجوده الثقافي؟

وكيف أنَّ الدراسة هذه كانت عبارة عن أرشيف سردي يعيد تركيب المشروع الثقافي الفلسطيني، أي بما يمكن تلخيصه أنها محاولة لإعادة تشكيل الهوية الثقافية أو الذاكرة الفلسطينية.

كانت هنالك مصطلحات مهمة أعتقد أنه يمكن البناء عليها نظرياً وأكاديمياً مثل «إبادة الذاكرة» وعبرنة أسماء القرى. وهذا طبعاً مثال حي ومباشر على ما تقوم بفعله إسرائيل في الوقت الحالي. أنا ابنة قرية هُجِّرت ولجأ منها أهلي في 1948 وجميع من أنتمي إليهم. غيَّرت إسرائيل الاسم من قرية «برير المحتلة» إلى «برور»

إذا ما استندنا إلى ما يمكن أن يتم إضافته أو يمكن الحديث عنه بشكل موسع، فهو كيف أن الحالة الفلسطينية تشابه حالات أخرى أو حالات استعمارية. وأعتقد أنَّ هذا المفهوم يمكن البناء عليه في تفسير وتحليل الحالة الفلسطينية مثل فرانز فانون حينما تحدث عن كيف كان الاستعمار الفرنسي يعمل على تفكيك الثقافة في إفريقيا وفي الدول المختلفة.

يمكن القول إنَّ الدراسة هذه كانت عبارة عن مزج بين الوصف والتاريخ لكل ما يتعلق بالإعلام والصحافة. في بداية القرن رموز مهمة ولها صدى كبير مثل نجيب نصار وغيره وعيسى العيسى. الأدب والفن كشكل تعبوي، مثل أعمال غسان كنفاني الذي لا زال يحيا اليوم في كتاباتنا. والجميل أنَّ هؤلاء الكتاب لم يكونوا فقط في زمانهم وعصرهم، وإنما حاكوا الحالة حتى في عصرنا الحاضر، ولهذا نجد أنَّ الكثير من الناس يستخدمون المقولات الخاصة بهم كأنهم يتحدثون عن الآن.

وهنا نتطرق إلى نقطة جداً مهمة في البحث، وهي: هل يكرر الاحتلال الإسرائيلي نفسه في تهويد وتفكيك الثقافة الفلسطينية؟ أم أنَّ الاحتلال هو ذاته؟ ولكننا لم نمتلك الأدوات وكان لدينا قصور؟، وبالطبع هذه نقطة سأتوسع فيها لاحقاً.

الثقافة الشعبية مثل المطرزات والطعام والأزياء كمجالات المقاومة والهوية الجمعية. وطبعاً هذه كلها نقاط هامة. ولكن ما أعتقد أننا قد نحتاج أن نلتفت إليه بشكل موسع، هو نظريات الاستعمار المعرفي الذي يقوم به الاحتلال الإسرائيلي

أعتقد أننا يمكن أن ننظر للمشروع الصهيوني على أنه ليس مشروعاً استيطانياً فقط، فهو لا يعمد فقط على الاستيطان الثقافي، وإنما استيطان كل جزء يتعلق بالتكوين الفلسطيني.

حين يعمل الاحتلال الإسرائيلي على قتل الناس أو على قتل المدنيين في قطاع غزة أو في فلسطين بشكل عام، ثم تأتي الأم الفلسطينية، وبشكل فطري، تحافظ على ما تبقى من ابنها الشهيد، قطرة من دمائه ربما، قميص كان يرتديه. وأعتقد أنَّ هذا يعزز كيف تحاول الأم الفلسطينية بلا وعي أو إدراك، وإنما بفطرة مطلقة، أنْ تكرس وجود ابنها وتنقل روايته، وتنقل القصة أننا لسنا أرقاماً وإنما نحمل ذاكرة قوية.

كيف فكَّك إدوارد سعيد في كتاباته الثقافة الإمبريالية، والخطاب الاستعماري؟ كيف ركزت روزماري صايغ على الرواية الشفهية كأداة للمقاومة؟ وكيف تحدثت سلمى الخضراء عن الأدب الفلسطيني كأدب يمثل حالة نادرة عالمياً؟

أؤمن بأنه يمكن أن تتفرع من هذه الدراسة سلسلة من الدراسات الأخرى التي تركز وبشكل تفصيلي على كل حالة بشكل مستقل، لأنها جميعها مهمة. سواءً في الأدب، في السينما، في الفن، في المأكولات، في المطبخ الفلسطيني.

أعتقد أنَّ الإطار الزمني للدراسة كان كبيراً وموسعاً، وهو ما يعد جيداً في الحالة التي يأتي فيها أحدٌ لا يعرف عن القضية الفلسطينية شيء، فيرى كيف قام الاحتلال الإسرائيلي، بشكل

ممنهج، بتفكيك كل عناصر الثقافة الفلسطينية، وأعتقد أنَّه يمكن أن تبنى عليها سلسلة أخرى من المقالات التي ربما تصبح كتاباً عن الثقافة الفلسطينية، ولكن يجب أن يشمل البحث ما حدث الآن أو ما يحدث الآن من الإبادة في قطاع غزة.

بالطبع نحن نتحدث اليوم عن إطار زمني مختلف. تقريباً الدراسة توقفت عند أكتوبر 2023 وكأنها كانت لا تزال خط الدفاع الأخير. ولكن حسب وزارة الثقافة، فقد تم محو كل ما يتعلق أو كل ما يتصل بالثقافة الفلسطينية في قطاع غزة، وبشكل كامل وممنهج من الاحتلال الإسرائيلي. أكثر من خمس عشرة كنيسة على مستوى قطاع غزة. أكثر من مئتي مسجد، وجميعها مساجد تحمل إرثاً ثقافياً وعصرياً مهماً، وتم تجديدها والعمل عليها بشكل كبير.

وهذا يدعونا إلى أن نسأل: ما دور الثقافة الرقمية؟ وهو ما تطرق له سليم بشكل مبدئي ومهم، حينما تحدث عن المقاومة الرقمية، وكيف خلقت جيلاً مختلفاً، ولكن ما يمكن أنْ نبني عليه هنا هو كيف يمكن أنْ تكون وسائل التواصل الاجتماعي الآن بوابة الثقافة بالنسبة للجيل الحديث؟ كلنا نعرف أنَّ العنصر الأساسي للمعرفة عن الثقافة الفلسطينية هي وسائل التواصل الاجتماعي في الزمن الراهن.

تمنيت لو أنَّ الدراسة تطرقت إلى الدور الوظيفي الفردي، فجميع ما تفضل به سليم في الدراسة مهم فيما يتعلق بكيف كان الشعراء مثل درويش يقومون بالفعل الفردي في المقاومة، والأدباء مثل غسان كنفاني، والمخرجون في الأفلام السينمائية كانوا جميعهم يقومون بأدوار فردية ومشاريع فردية.

وكذلك نحن الآن على نفس الامتداد في الفترة الراهنة نرى أنَّ الكثير من الشباب يقومون بمشروعات فردية. ولكن كيف واجهت الدولة الفلسطينية غير الموجودة والتي اعترف بها كعضو مراقب فقط، ولكنها غير موجودة، وإن كان هناك أحد يقول إنَّ هنالك دولة فلسطينية فليتقدم بالدليل

أعتقد أننا يمكن أن ننظر للمشروع الصهيوني على أنه ليس مشروعاً استيطانياً فقط، فهو لا يعمد فقط على الاستيطان الثقافي، وإنما استيطان كل جزء يتعلق بالتكوين الفلسطيني.

حين يعمل الاحتلال الإسرائيلي على قتل الناس أو على قتل المدنيين في قطاع غزة أو في فلسطين بشكل عام، ثم تأتي الأم الفلسطينية، وبشكل فطري، تحافظ على ما تبقى من ابنها الشهيد، قطرة من دمائه ربما، قميص كان يرتديه. وأعتقد أنَّ هذا يعزز كيف تحاول الأم الفلسطينية بلا وعي أو إدراك، وإنما بفطرة مطلقة، أنْ تكرس وجود ابنها وتنقل روايته، وتنقل القصة أننا لسنا أرقاماً وإنما نحمل ذاكرة قوية.

كيف لو تطرقنا في هذا الجانب إلى الإطار الجمعي وليس فقط الدور الفردي؟ كيف كان الدور المؤسسي؟ وهنا نتطرق إلى نقطة أخرى، وهي كيف كان دور منظمات المجتمع الدولي؟ ك»اليونيسيف» التي تعمل على الكثير من توثيق المشاريع الثقافية في فلسطين، وللأسف تم هدم العديد من الكنائس ولو هدمها الفلسطينيون لقامت الدنيا، ولقيل إن الفلسطينيين متطرفين وإسلاميين، لكن طالما أنَّ الاحتلال الإسرائيلي هو من هدمها فكل شيء مقبول. وهذا يجعلنا نتساءل: كيف يساعد العالم في تعزيز همجية الاحتلال الإسرائيلي في استهداف الثقافة الفلسطينية بشكل مباشر وبشكل غير مباشر؟

أتطرق الآن وبشكل مقتضب على عجالة إلى نقطتين يمكن أن نبني عليها الحوار، وهما تتعلقان بسؤالين بشكل سريع:

1 أولاً: هل لا تزال المقاومة الثقافية تشكل وعياً جماعياً في ظل التشظي السياسي الفلسطيني؟ أسأل كفلسطينية، وأنا أعرف أنَّ هذا السؤال يسأل من الجميع، وخصوصاً في ظل انهيار الجانب المؤسسي على المستويين، سواءً كان السلطة الفلسطينية أو الحكومة في قطاع غزة، وخصوصاً أيضاً في ظل موجة التصالح مع إسرائيل في المنطقة من جميع الحكومات

2 ثانياً: إلى أي مدى تستطيع التكنولوجيا كالسوشيال ميديا، والذكاء الاصطناعي أن تعيد سرد الرواية الفلسطينية بعيداً عن القنوات التقليدية؟ وما هو مستقبل قضية الهوية الثقافية الفلسطينية في ظل محاولات محو الجغرافيا وطمسها على الإطلاق؟

ونحن نعلم أنَّ الجيل الذي سيخرج من قطاع غزة الآن وبعد هذه الإبادة سيواجه مشكلة في إنسانيته أولاً، وفي نقل الرواية ثانياً، خصوصاً أنه يعيش في زمن الديموقراطية والإنسانية. كيف عملت المفاهيم الديموقراطية وحقوق الإنسان كلها على إعادة تشكيل هذا الوعي لدى الجيل القادم؟

لمشاهدة الكلمة: اضغط هنا

الدكتور زيد الفضيل

شكرا جزيلا أستاذة إسراء. دعونا ننتقل بالحديث إلى الضيف الثالث وهو الدكتور صالح بن هاشم الشحري، طبيب استشاري في أمراض النساء والتوليد، وهو من غزة. صدرت له ثلاثة كتب أحدها عن فلسطين بعنوان «أطياف العذاب»، وكتاب «صدى السنين الخاطئ»، و«قراءات في سير من الخليج»، وكتاب «سفن الأعمار قراءات عربية وأجنبية».

الدكتور صالح، شخصية فلسطينية عربية لديه العديد من الأطروحات والأفكار، وهو ملامس للحالة الثقافية، وأحد الشخصيات التي تكتب بهدوء وبحكمة في مواقع التواصل الاجتماعي، وتعبر عن رأيها بما يمس الشأن الفلسطيني بوجه خاص. أدعوه أنْ يقدم مداخلته حول هذا الموضوع، معركة الذاكرة والهوية

د. صالح الشحري

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد سيد الأنبياء، والصلاة والسلام على سائر الأنبياء والمرسلين. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني. أشكرك دكتور زيد على هذا التقديم الرفيع. وأشكر المركز على هذه المبادرات التي تدل على وعي، وفي الحقيقة هذا الوعي هو المطلوب لكي ننتصر في النهاية.

> أنا ابن خان يونس. تركتها يوم كنت في السادسة من العمر. والدي جاء إلى المملكة العربية السعودية عام 1958، وأنا تركتها بعد حرب 1967. كنا نشعر بأننا محظوظون لكوننا في بلد عربي مسلم مشاعره مع القضية الفلسطينية ولا زلنا. وأبي مات على ذلك. وكنا إذا قارنا أنفسنا بالفلسطينيين الذين اضطروا إلى الذهاب إلى العالم الغربي أو العالم الشرقي، نشعر أننا محظوظون كثيراً.

والدي رحمه الله بعد أن فرغ من مهمات بناء أسرته، بدأ يعيد بناء بيتنا في خان يونس رغم أنه لم يكن يحمل ورثة «لم شمل» حتى يرجع إلى خان يونس هو وأبنائه، وكنا نعجب أنْ يضع كل ما أخذه أو جمعه في حياته ليقيم بيتاً كأنه سرايا مكون من 16 غرفة. هكذا كان يقول أبي بأنه يبني للمستقبل

كان والدي في الستين. أي مستقبل ينتظرنا؟ لكنه كان يردد بأن هذا بلدنا ولابد أن نعود له، وإذا لم أعد إليه، فأنتم ستعودون إليه حتى لا تشعروا بأنكم بحاجة إلى أحد. وكانت والدتي تغار، فهي تعيش في بيت متواضع، وأبي يبني هناك، ولكن والدي كان يشعر بأنَّ هذا هو الشيء الطبيعي. وقد توفي، رحمه الله، ولم يسكن بالبيت إلا ثلاثة أشهر، فهو لم يكن من الحاصلين على «لم شمل»، وحتى بعد أنْ جاءت سلطة أوسلو لم يكن من حقه أن يذهب، فهو لا يحمل بالمسمى الإسرائيلي ما يدل على أنه فلسطيني.

وقد كان يحدث أبنائي عن هذا البيت وعن المزرعة التي حوله، وشجر اللوز، وشجرة الخروب، وشجرة الجميز، وذكرياته هناك، وتعلق أبنائي والآخرين بهذا البيت. ثم أعطتهم وسائل التواصل الاجتماعي فرصة للحديث مع أقاربهم

هناك، والحوار، والتقاط الصور وما إلى ذلك، وأصبحوا يشعرون أنَّ هذه هي الجوهرة اليتيمة التي بقيت لنا في الحياة

الحمد لله اليوم نسفته إسرائيل في الشهر الثالث للإبادة. لم نحزن، لا لأنه لم يكن ذا قيمة لنا، ولكن لأنَّ الإبادة التي كانت حاصلة كانت أقسى من أن تجعلنا نحزن على شيء كهذا. ولكن هذه هي الأمانة التي تنتقل إلى أبنائنا، كما قلنا، هي أمانة الذاكرة والتي لا زالت تبنى فينا وتزيد يوماً بعد يوم ثراءً ومقاومة.

يحضرني في هذا الحديث حين أتحدث عن الذاكرة ما قالته المجرمة غولدا مائير التي كانت وزيرة خارجية ورئيسة وزراء إسرائيل، فقد قالت: «الكبار يموتون والصغار ينسون». لقد راهنت على أنها تستطيع أن تمحو هذه الذاكرة.

دعونا ننتقل من عام 1948 حين قالت هذا الكلام إلى عام 1967 حين قامت الانتفاضة. ماذا سموها؟ سموها انتفاضة طفل الحجارة. كان الطفل الفلسطيني هو الذي يحمل الحجر ويطارد الجندي الإسرائيلي. ورغم ذلك لم يكن يمارس لعبة رمي أثقال هنا وهناك في حلبات الرياضة، وإنما كان يواجه جيشاً مدججاً بالسلاح، وكان فيه ناس قتلى مثل محمد الدرة وغيره، وكانت فلسفة زعيم السلام الإسرائيلي إسحاق رابين: اكسروا عظامهم، وهذا الذي رأيناه ورآه كل العالم. فإذًا، الذاكرة بقيت غنية وقوية ولم تتأثر

الثقافة هي سادن الذاكرة. المقاومة تحمي ذاكرة والثقافة تثريها، وتساعد على استمراريتها، ولذا سعت إسرائيل، كما تفضل الإخوة الكرام الأستاذ سليم صاحب الدراسة الجميلة والأخت إسراء صاحبة التعليقات المهمة، إلى أن تحطم هذه الذاكرة، وقد أوردا أمثلة كثيرة، لكنني أستطيع أنْ أقول إن إسرائيل في النهاية أخذت تحطم أطفالنا، لأنهم هم حملة الذاكرة، وهم الذين سيواصلون المسيرة لأنها لم تستطع أن تمحو الذاكرة من أذهاننا.

أستطيع أن أعطي أمثلة على الحرب التي واجهنا بها والوعي الذي عندنا. الشاعر المعروف سميح القاسم وهو شاعر درزي. قاوم الإسرائيلي برفضه موضوع التجنيد الإجباري وأنشأ جماعة الدروز الأحرار التي ترفض أنْ يشارك الدروز في الجيش الإسرائيلي، وتعتبر نفسها عربية فلسطينية، وإنْ عاشت في إسرائيل.

الذي يرفض التجنيد الإجباري في تلك الفترة، يمنع حتى أن يعمل عاملا في مقهى. وأنتم ترون الموجة الأدبية لأبناء فلسطين التي احتلت قبل 48 كيف أنها حافلة بأسماء الشعراء والأدباء وسدنة الذاكرة من كافة الأطياف الفلسطينية. هذا شيء أساسي موجود عندنا. الثقافة بطبيعتها مقاومة

وبالتالي إذا أخذنا بأحد تعريفات الثقافة التي تقول إن الثقافة هي طريقة حياة، فإنَّ كل ما يغذي الثقافة ينتقل إلى أنْ يصبح مقاوماً، سواءً أكان مقاوماً بحكم الشعور الوطني، أو مقاوماً بحكم الشعور القومي، أو مقاوماً بحكم الشعور الإنساني العام.

فمثلاً الكاتبة البريطانية (إثيل مانين) التي كتبت رواية «الخروج من بئر السبع»، كانت تنتصر للحق الفلسطيني، رغم كونها كاتبة بريطانية

بيضاء، لكن شعورها الإنساني جعلها تقف مع الفلسطينيين بمجرد معرفتها للحقيقة، تماماً مثل الكاتبة التي كتبت كوخ العم توم، وهي كاتبة بيضاء شقراء أمريكية كان لكتابتها دور في تحرير العبيد

> بهذا الشكل إن لم تزور الثقافة تبقى ثقافة مقاومة. ولذا فإنَّ الثقافة بكل ما فيها، سواء الثقافة الشفهية التي على ألسنة الأميين من الناس، أو التي على ألسنة الذين يقرؤون، والتي تصل إلينا بالقراءة والمسموعات والمكتوبات وما إلى ذلك، تظل عنصراً قويا نُعوّل عليه في استمرارنا في المقاومة أو استمرارنا في تحدي ما نواجه من صعوبات.

لأنَّ إسرائيل تعرف هذا، فقد هاجمت أكبر أرشيف فلسطيني وهو أرشيف مركز الأبحاث في بيروت. هاجموه في في البداية عام 1969 بلغم، وفي عام 1972 أرسلوا خطاباً مفخخاً إلى رئيسه أنيس صايغ فدمروا له نصف وجهه، وتركوه شبه مشلول. ثم في عام 1974 أرسلوا إليه صاروخين من سيارة مرت بجواره. وفي 1982 حينما غزت إسرائيل لبنان، هاجموه بسيارة مفخخة في شهر 7 وسيارة مفخخة في شهر 8، ثم استولوا عليه في شهر 9 ودمروا كل محتوياته.

> لأنه أكبر أرشيف استطاع الفلسطينيون أن يجمعوه في تلك الأيام، فدمروه على مرأى ومسمع من العالم الذين يعتبرون أن هذا تراث إنساني، لكن هذا هو فعل الصهاينة لمعرفتهم بدور الثقافة ودور الفعل الثقافي في التحدي، وهو تحدٍ إنساني قبل أنْ يكون فلسطينياً، وتحدٍ فلسطيني قبل أن يكون عربياً، وتحدٍ عربي إسلامي مسيحي للظلم والبغي.

أذكر مثلاً في 2010 عندما بدأت ما يسمى بـ»ثورة النفق»، كتب وكيل وزارة الإعلام الفلسطيني مقالاً، ذكَّر فيه الناس بالشيء الذي تفضَّل به الأستاذ سليم عن البراق، وكيف أنه جاء بعض اليهود وحسبوا أنَّ حائط البراق الذي هو حائط المغاربة. وبدأوا يضعون أدوات الصلاة ويقومون بما يشبه التملك. حصلت مناوشات انتهت إلى مقتل حوالي مئة من هنا ومئة من هذا الطرف أو ذاك. ثم جاءت السلطات البريطانية وأعدمت ثلاثة من العرب لا زلت أذكر أسماءهم، ويذكر أسماءهم أبنائي، وسيذكر أسماءهم أحفادي، وهم: عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي.

خلدتهم الأشعار. ثم قامت جماعة حراس الأقصى من الفلسطينيين واستطاعت أنْ تجعل منها قضية دولية. فقامت بريطانيا بإرسال لجنة. ولما رأت بريطانيا أنها ستثبت حق الفلسطينيين ذهبت إلى تكوين لجنة دولية. وتكوين اللجنة الدولية اختار أعضاءها الإنجليز المتواطئون مع الصهاينة. وخرجت بأن تقول بأن هذا الحائط مملوك للمسلمين. ليس لأحد حق في أن يستولي على شيء منه.

في 2010 يكتب المتوكل طه هذا المقال ليقول ماذا فعلت إسرائيل؟ وأنها خالفت النصوص المعتمدة في عصبة الأمم المتحدة، فماذا حصل؟

يخرج نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي ببيان، وتخرج وزارة الخارجية الأمريكية ببيان، وتخرج هيلاري كلينتون لتتحدث أنَّ هذا المقال متطرف، وأنه لا يحقق عملية السلام.

بمجرد أن أظهر حقي وأذكر الناس بما لم ينسوا، أصبح ضد عملية السلام! ثم تخرج منظمة إسرائيلية أمريكية، منظمة روزنتال، لكي تقول إنَّ هناك شخصيات ضد السامية في العالم. ونحن العرب ساميون، ضد السامية في العالم. هؤلاء المعادون للسامية على رأسهم المتوكل طه وكيل وزارة الإعلام الفلسطيني الذي كتب هذا المقال. ثم يفرض على السلطة الفلسطينية سحب هذا المقال من جميع المقاطع. هل هناك أكثر من هذا هجوم على الذاكرة الفلسطينية؟!

لكننا نتذكرهم، وسنبقى ونحافظ على ذلك في ذاكرتنا الشفهية وذاكرتنا المكتوبة والمقروءة وبكل أنواع التواصل التي نقيمها.

الثقافة لا تحافظ على الذاكرة فقط، بل تقوم ببناء الوعي وتعديل المسارات. فإذا أردت أيضاً أن أتحدث مثلاً عن السرية الطلابية للطلاب العرب والفلسطينيين في الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة بيروت العربية. رأوا بعض أخطاء المقاومة الفلسطينية، فقاموا وبدأوا بجمعيات طلابية ثم أصبحت سرية مقاتلة وثم تحولت إلى كتيبة الجرمق.

هؤلاء قالوا أولاً نحن لا نعارك القيادة الفلسطينية، ولكن ننتقدها. نحن لم نأت لكي نتدخل في شؤون العالم العربي. لا يمكن أن نخون أحدا بكلام ما لم ينحاز إلى إسرائيل. لا نعتبر أنفسنا طرفاً في الصراع اللبناني ولا نتدخل فيه. نحن فقط نتبنى نظرية الجماهير. نذهب إلى جنوب لبنان، نقاتل الصهاينة، إذا ذهبنا إلى القرى اللبنانية، نحترم الأعراف والتقاليد ونحترم القيادات المحلية ونكون قوة لها.

وقد اشترك في الحركة الفلسطينيون المسلمون والفلسطينيون المسيحيون واللبنانيون من كل الطوائف حتى المارونيين والأخوة العرب من كافة أجزاء العالم العربي والإسلامي، كل المؤمنين بالقضية الفلسطينية على اختلاف مشاربهم، وكانت أعظم تجلياتها في المعركة التي خاضها الإسرائيليون بـ 1200 جندي، وبقصف الطيران لمدة ستين ساعة، وهم يظنون أنه في قلعة الشقيف يقيم فصيل فلسطيني كامل، ليكتشفوا بعد أن دخلوها، وجاء مناحم بيجن بطائرته إلى هناك ليرى الأسرى الفلسطينيين أو الأسرى العرب الإرهابيين، فوجد أنَّ المقاتلين كانوا كلهم قد استشهدوا، وتبين أنهم فقط ثلاثين نفرا يقودهم سمور من فلسطين، ويقودهم مجاهد اسمه عبد القادر الكحلاني من اليمن. جاء الوعي من هؤلاء الطلاب، وهو وعي ثقافي بالدرجة الأولى، ليصحح المسيرة ويعيد تقويم الأمور، ويعيد الالتحام بالجماهير، وهذا ما نطلبه وما نرجوه دائما.

أريد أن أضيف نقطة صغيرة إذا سمحتم لي، كنت سميتها «الثقافة الفلسطينية في التعايش»، ثمَّ ألغيت كلمة التعايش، لأنَّ التعايش يعني كأن الأصل غير التعايش، مع أن ثقافة «وحدة الحال» هي الأصل بين طوائف المجتمع الفلسطيني

فمنذ أنْ جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح القدس أوكل حماية كنيسة القيامة وحراستها لأبناء نسيبة بنت كعب المشهورة في التاريخ الإسلامي، وما زالت إلى اليوم، بل اختلفت قبيلتان عربيتان على من يحرس كنيسة القيامة؟ لماذا؟ ذكاء الرجل قال إنَّه سيأتي مهاجرون كثيرون قد لا يكونون معتادين على رؤية الكنائس، فنجعل قبيلة عربية معروفة تحرسها لتبقى معهم ثقافة وحدة الحال. ولهذا نرى أنَّ جميع الإخوة في المقاومة بكافة أطيافها كانوا من كافة الطوائف.

لمَّا كان المجلس الإسلامي الأعلى أيام الحاج أمين الحسيني واسمه الإسلامي يقود المعركة الفلسطينية كان سكرتيره عجاج نويهض درزي. وكان الداعية له في العالم شكيب أرسلان درزي. وكان سكرتير الشيخ أمين الحسيني أميل الخوري من إخوتنا المسيحيين. وكان أفضل كتّاب تلك الأيام تعبيراً عن القضية خليل السكاكيني، وهو أيضاً من الإخوة المسيحيين. واستمرت المسيرة. ليس هناك فرق بين هذا وذاك. تذكروا شيرين أبو عاقلة والمطران كبوجي وغيرهم.

بل إنَّ إسرائيل تعرف أنَّ هذا النسيج لا يمكن هدمه. الآن في المقاومة الإسلامية في غزة وما إلى ذلك، وكانت في كل اعتداءاتها على قطاع غزة تظن أنَّ قادة المقاومة يستقرون تحت يحتمون بمستشفى الشفاء أكبر مستشفى في القطاع، لكنها قالت لا يمكن إذا أردت أن أهاجم المستشفى وأهدم المستشفى لا يمكن أن يكونوا لا زالوا في مستشفى الشفاء.

أين أذهب؟ ظنت أنَّ الفلسطيني سيجد المأوى عند إخوته المسيحيين، فذهبت تضرب المستشفى المعمداني. وهو مستشفى كنسي في الأصل، والممرضات فيه راهبات. ضربته وحطمته

هذا النسيج يجب أن يبقى، ويجب أن يستمر، وهو النسيج الذي يجعل المجتمع قوياً رغم كل المآسي، ورغم كل ما يحدث. أنا لا زلت أعول كثيراً على الثقافة لكي تحمي مكتسباتنا ونستمر فيها.

المعذرة إنْ خرجت قليلاً عن الموضوع، لكن أظن أنني أدعم الاتجاه العام. أتمنى أنَّ دراسة الأستاذ سليم تتطور، وطالما هيئ له هذا المحضن الطيب في هذا المركز، أن تصبح دراسات ومجموعة كاملة من الأرشيف الذي يُقرأ دائماً ويُعَاد إليه دائماً. أشكركم وأرجو ألا أكون قد تجاوزت فيما تحدثت عنه. شكراً لكم جميعا

لمشاهدة الكلمة: اضغط هنا

المداخلات

الدكتور زيد الفضيل

شكرا دكتور صالح. كان حديثك ثرياً، كان حديثك رائعاً وهو من مخزون الذاكرة في كل الأحوال، وأحبُّ أنْ أشير أيضاً إلى ذكر بعض الملامح في معركة الذاكرة. حيث أشارت الأستاذة إسراء إلى قريتها برير وكيف تحولت إلى برور، وبالتالي ترسخ في ذهن الجيل الجديد بأن هذه هي الأسماء الحقيقية.

> لا بل إن إسرائيل اليوم تسعى إلى الخروج من دائرة فلسطين المحتلة إلى المنطقة العربية كذلك، وتصنع ذاكرتها في المنطقة العربية من خلال هذه الكتب غير العلمية التي تقول بأن التوراة من جزيرة العرب ككتاب كمال الصليبي، وكتاب التوراة الحجازية لمحمد منصور، أولئك الذين يريدون أن يصنعوا ذاكرة لليهود في منطقة الحجاز وجنوب الجزيرة العربية. ولا أساس لذلك كما قال به علماء الآثار والتاريخ في المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم أستاذنا الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الانصاري يرحمه الله. ولديه تسجيل يثبت هذا يذكر نقاشه مع كمال الصليبي عندما صدر كتابه في الثمانينات.

إذًا، إسرائيل تريد أن توسع أيضا من ذاكرتها وتمحو ذاكرتنا جميعاً في كل الأحوال. ولهذا معركة الذاكرة هي معركة مهمة بقدر ما الدماء التي تسفك أيضا هي مهمة. والحرب التي تقام أيضا هي مهمة. لكن أيضاً نحن علينا جانب آخر يجب ألا نغفل عنه. ولهذا نقيم هذه الندوة. ذاكرة المدن والذاكرة الاجتماعية التي يتم اليوم سلبها ونهبها

د. محمد المبارك:

شكرا لك دكتور زيد. وشكراً للمتحدثين الأفاضل. الحقيقة موضوع مهم وشيق ومحبب إلى النفس. ولكن لا يوجد لدي إضافة إلا إذا سمحتم لي بعدة أبيات من الشاعر الكبير محمود درويش. أضيفها هنا إذا سمحتم لي:

أيها المارون بين الكلمات العابرة

آن أن تنصرفوا وتقيموا أينما شئتم

ولكن لا تقيموا بيننا

فاخرجوا من أرضنا

من برنا

من بحرنا

من قمحنا

من كل شيء

اخرجوا من ذكريات الذاكرة

أيها المارون بين الكلمات العابرة.

ولعلي أقول لأستاذة إسراء: إذا كان هناك كتاب عن الثقافة يا ليت أنْ نسميه «عابرون في كلام عابر». وشكراً لكم جميعاً

أحمد صبحي:

السلام عليكم. أول شيء الشكر الجزيل للمركز على هذه الندوة الرائعة والممتازة. أنا إعلامي وكاتب فلسطيني ولاجئ فلسطيني في لبنان. موضوع الذاكرة والهوية والثقافة أمر مهم جداً في ظل ما نعيشه كحالة فلسطينية في لبنان تعاني الكثير من التحديات، لها علاقة بتحديات قانونية وتحديات معيشية واقتصادية وتحديات لها علاقة بالحقوق والواجبات.

ما أودُّ أنْ أقوله من خلال متابعتي البسيطة لقطاع غزة بحكم عملي الإعلامي هو أنَّ الذاكرة والهوية متجذرة في قطاع غزة. أنا قرأت كتاباً منذ فترة اسمه «غزة تروي إبادتها». هذا الكتاب صدر من قطاع غزة من تأليف كتاب وشعراء وأدباء وأديبات يتحدثون فيه عن المعاناة، لكن في الوقت نفسه هو كتاب ثقافي يتحدَّث عن المعركة الثقافية التي نعانيها مع الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة.

أنتم تعرفون أنَّ الاحتلال هدم المتاحف، وهدم المكتبات، والجامعات، والمدارس، في معركة ثقافية بكل ما في الكلمة من معنى مع الاحتلال الإسرائيلي، وهي معركة تاريخية، وجميعكم تذكرون مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت وما تعرض له من نهب على يد الاحتلال

> غولدا مائير رئيسة وزراء الاحتلال الإسرائيلي التي قتلت مثقفين فلسطينيين واغتالتهم، وقالت عندما قتلت غسان كنفاني: اليوم تخلصنا من لواء فكري مسلح. فغسان بقلمه كان يشكل خطراً على إسرائيل أكثر مما يشكله الفدائي المسلح. معركتنا الثقافية مع الاحتلال الإسرائيلي طويلة وتمتد منذ بداية الاحتلال.

ما أود أن أشير إليه أن ما يجري حالياً في قطاع غزة هو عبارة عن صهر وعي، تقف الكلمات عاجزة أمام ما يجري في القطاع، وهذا يعيدني للحديث عن كتاب كتبه الأسير وليد دقة وهو أسير في سجون الاحتلال الإسرائيلي سماه «صهر الوعي»، وتحدث فيه عن النظام الإسرائيلي في التحكم بالأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال، وكيف يجعل حياته منتظمة بشكل يصهر وعيه، وأن هذا النظام هو ليس فقط في داخل السجون، إنما هو أيضا في خارج السجون، يتحكم في حياته سواء في غزة وفي الضفة.

> لكن بعد السابع من أكتوبر، وجدنا أن الاحتلال الإسرائيلي حريص ليس فقط على كسر الوعي الفلسطيني، بل على تحطيم الوعي الفلسطيني، وهدمه من أوله لآخره عبر المجازر والقتل المتسلسل وهدم كل ما له علاقة بالثقافة الفلسطينية.

أودُّ أنْ أقول إنَّ الثقافة الفلسطينية المناهضة أو التي ستحافظ على الذاكرة والهوية هي بخير طالما وجد الكتاب والمهتمون، وطالما نقرأ كتابات ونصوص شعرية ونثرية من أهلنا في قطاع غزة رغم كل الظروف الصعبة، فأعتقد أنَّ الثقافة الفلسطينية بخير، أمامها تحديات كبيرة،

من سيستطيع أن ينشر ويهتم ويتابع؟ وأنا أحيي المركز على هذه الندوة. أمامنا تحديات كبيرة، ويجب أنْ نهتم بموضوع الثقافة الفلسطينية، وترسيخ هذه الثقافة لدى الأجيال المقبلة في وجه هذه المعركة الشرسة التي يقودها الاحتلال الإسرائيلي.

إذا كان عندي سؤال، فهو: ما هي أبرز التحديات التي ستواجه الجيل المقبل في استكمال المعركة الثقافية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال، سواءً على مستوى اللاجئين أو حتى على مستوى أهلنا في قطاع غزة والضفة الغربية ومناطق 48؟ وتحياتي للجميع

أ. سليم نقل:

أشكرك دكتور. وأودُّ أن أبدأ من عند الأستاذ أحمد صبحي وسؤاله حول أبرز تحديات الجيل المقبل. أنا باعتقادي أنَّ أبرز التحديات اليوم وهو موضوع لا نعيه بشكل كافي، ألا وهو موضوع الذكاء الاصطناعي، فمنذ حوالي أسبوعين أو ثلاثة على موقع إكس (تويتر سابقا)، ثارت ضجة إعلامية كبيرة حول أداة جروك (Grok) وهي ملحقة في موقع إكس، حيث كانت إجاباته في بعض الأحيان مستفزة، وفي بعض الأحيان كانت توجد إجابات متعلقة بهكر وكذا

تم إيقاف المشروع لعدة أيام، وإعادة برمجته لكي تكون إجاباته متسقة، وهذا شأن مرعب للأجيال القادمة، بحيث أنه ممكن أن تختفي بعد فترة معينة الكتب المطبوعة أو الكلام المكتوب، وتتحول فقط إلى أدوات الذكاء الاصطناعي التي تتحكم بها اليوم بشكل رئيسي الشركات المرتبطة بالمشروع الصهيوني.

هذا موضوع خطير. يجب أنْ نفكر ماذا سنفعل أمام هذا التسارع التكنولوجي، حيث إنهم يملكون ذاكرة الآلة الاصطناعية أو الذكاء الاصطناعي. كيف نستطيع أن نواجه ذلك؟ لا أملك الإجابة بأمانة، ولكن باعتقادي هذا من أخطر الأمور.

لأنه عدا عن ذلك نحن بعد 120 سنة من هذا النضال المستمر أعتقد أن ثيودور هرتزل 1897 عندما عمل مؤتمر بازل في سويسرا لم يكن يعتقد أن هذه القضية سوف تستمر إلى هذا الحد. وكلام الدكتور صالح عن مقولة جولدا مائير في الـ 48 وغيرها. لا أعتقد أن المشروع الصهيوني كان يعتقد أنه سوف يستمر النضال لأكثر من 120 عاماً.

كذلك حاولت الدراسة أن تربط الماضي بالحاضر. وحاولت في ذلك أن أسلط الضوء فقط على أعمال الفلسطينيين. ولا أقلل من جهود الآخرين، فجهودهم كبيرة جداً مثل مارسيل خليفة وهو من أهم المغنيين الذين غنوا للقضية الفلسطينية وهو لبناني، وفيروز والرحابنة والآلاف غيرهم.

واليوم الصوت العالمي ليس صوتاً فلسطينياً، ولا عربياً، ولا مسيحياً، بل هو صوت عالمي يصرخ صراخ أهل غزة ويطالب بإيقاف المجازر وإيقاف الإبادة الجماعية وإيقاف التجويع المتعمد. فاليوم لم تعد قضية فلسطين أو العالم الفلسطيني أو حنظلة هي رموز فقط تهم الشعب الفلسطيني أو العربي. هي أصبحت قضية عالمية.

وهذا ينقلني إلى السؤال الذي سألته الأستاذة إسراء، وهو: هل التكنولوجيا مهمة اليوم؟ في الـ 48 وفي 67 وحتى في مجزرة صبرا وشاتيلا في لبنان 82، سمعنا عن ذلك بعد أيام وأشهر. ولكننا اليوم نرى المجزرة أمام أعيننا، ولكن العالم لا يتوقف.

من يتابع وسائل التواصل الاجتماعي. هناك حالة جنون لدى الجميع حتى في أهم الأشخاص الذين كانوا يعتبرون من المؤيدين للصهيونية أو لدولة إسرائيل. أذكر مثالاً واحداً هنا من أهم الصحفيين الأمريكان أو الإعلاميين الأمريكان مثل تاكر كارلسون. اليوم صوته في الشهرين الماضيين قوي جداً. وهو يثير التساؤلات اليوم عن مدى علاقة إسرائيل بأمريكا ومدى تحكم اللوبي الصهيوني في أمريكا. وكل ذلك أثاره السوشال ميديا وليس شيء آخر فهو مهم ومهم الاستمرار في ذلك.

ماذا علينا أن نفعل اليوم في ظل التشظي؟ وفي ظل الانقسام السياسي الفلسطيني؟ وهو ليس بالمناسبة انقساماً جديداً. في عام الـ36 خلال الثورة الفلسطينية الكبرى والإضراب العام، كان هناك انقسام فلسطيني مشابه ما بين جماعة الحاج أمين الحسيني، وجماعة النشاشيبي، وهم من كبار العائلات في القدس آنذاك. وحاولت بريطانيا ومعها الآلة الصهيونية الناشئة آنذاك ترسيخ واستخدام هذا الشرخ، ونجحت في إطفاء شعلة الثورة الفلسطينية في الـ36 من خلال هذا الشرخ.

ولكن الفلسطيني أعاد نفسه مرة، واثنين، وثلاثة، وعشرة. وهذا مهم أنَّ الفلسطيني كلما وقع وكلما حلَّت به الكارثة لا يستسلم لا يتوقف. وتستمر المحاولة مرة تلو الأخرى وهذا هو المهم.

الانقسام للأسف هو أحد نقاط الضعف الأساسية اليوم في القضية الفلسطينية إن كان على مستوى النضال الشعبي أو النضال المقاوم الثقافي وغيره. ولكن نحتاج، وهذا ما ختمت به دراستي، وسأقتبسه هنا:

ولكن على الرغم من هذا الزخم الفلسطيني، تبقى الجهود الفلسطينية الثقافية موزعة على مبادرات فردية أو جغرافية متناثرة، ما يحد من قدرتها على مراكمة الأثر وتوحيد الصوت. ومن هنا تبرز الحاجة الملحة لتطوير مشروع ثقافي وطني جامع ينسق الجهود ويشكل جبهة متماسكة في مواجهة الاحتلال، خاصة في ظل امتلاك المشروع الصهيوني لمنظومات إعلامية وثقافية موحدة وفعالة تعمل على تزوير الحقائق وتكريس الاستعمار.

لقد كان ندائي في نهاية الدراسة هو أننا يجب أن نبحث عن توحيد الجهود للشباب والمبادرات الفردية، ولا نبحث عن زعامات، أو تفردات، أو بطولات. إننا اليوم لسنا في مكان نرى فيه الوضع قابلاً للتفرد والزعامات. يجب توحيد الصفوف. يجب أنْ تُلْفَظَ كل الخلافات في السابق، وهذا ليس شأناً فلسطينياً أبداً. هذا شأن عربي خالص كذلك.

يجب على الدول العربية أنْ تدعم اليوم الهوية الفلسطينية في كل مكان، وخاصة في بلاد الشام، وصون هذه الذاكرة وهذه الهوية وهذه المعركة الثقافية لأنه في صلب المحاولة للحد من التوحش ومحاولة الاستعمار الذي يسعى له العدو الإسرائيلي من خلال حتى ما قبل 7 أكتوبر ظهرت الخرائط والتي تقول بإسرائيل الكبرى.

وهذا حديث قديم جديد، ولكن اليوم صون الذاكرة الفلسطينية وصون المشروع الفلسطيني، وصون الشعب الفلسطيني في صلب العمل العربي الجامع. جامعة الدول العربية والمراكز بحثية ومراكز صنع القرار.

وهو دور مهم جدا وليس فقط على المجتمع الفلسطيني إن كان في الداخل أو في الشتات. أتمنى أن أكون قد أجبت على المداخلات أو الاسئلة.

مثال نهائي أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية كانت في حالة يرثى لها. أكثر من 80 مليون قتيل في أوروبا. معظم أوروبا مدمرة. تفكك اقتصادي واجتماعي وسياسي على مختلف الأصعدة. ولكن نجحت أن تلفظ كل ذلك وتعود أوروبا كشعب قوي من ثقافته. بدأت العودة نحو الصناعة والتطور الثقافي والمجتمعي وإلى آخره.

أ. إسراء صالح:

شكرا سليم. إجابة وافية وشافية وعبقرية بصراحة. وجداً مهم مقارنة أوروبا مع اختلاف السياق لربما يعطينا أمل. لكن يفضل مثلا أنْ يكون أمل جنوب إفريقيا أقرب لنا. لأنَّ الوزن السياسي والعسكري هنا جداً مهم وفارق جداً.

في الإجابة على أحمد، أنا حاليا أعد دراسة وهذا موضوع بحد ذاته جدا كبير. كيف يمكننا أن نواجه؟ هذه الدراسة تتحدث عن كيف قام الاحتلال الإسرائيلي من الاحتلال العسكري، ومن الحصار العسكري إلى التفكيك الاجتماعي.

ما نلاحظه الآن في قطاع غزة، لا يتعلق فقط بالإبادة على مستوى الأرواح، وقتل الناس، وإنما بقتلهم أيضاً حضورياً واجتماعياً وثقافياً وسلبهم الرغبة في الحياة، وكل ما يتعلق بهم.

كيف نواجه؟ ما الأدوات التي نستطيع تملكها لدعم وتعزيز صمود الناس في قطاع غزة؟ أعتقد أنه إذا تطرقنا إلى الفلسطينيين في الخارج مثلك أستاذ أحمد، ومثل الكثير من الفلسطينيين يمكننا على الأقل تشكيل تحالف ولنبتعد فيه عن السياسة

> كما قال سليم: نحن لسنا بحاجة إلى زعامات جديدة، وإنما نحن بحاجة أكثر إلى طاقة جديدة تقود الساحة بما يتناسب مع لغة العصر. العصر الآن لا يريد الفعل المقاوم البتة. ما يحاول العالم قتله في الشعب الفلسطيني هو المقاومة بكافة أشكالها، سواء كان على المستوى الثقافي، على المستوى العسكري، على المستوى السياسي. حتى صوت المرأة الجائعة التي تظهر على التلفاز أو على وسائل التواصل الاجتماعي يريد قتله أيضاً. المرأة التي تكافح على المستوى اليومي.

وما لا يمكن إدراكه من الشخص العادي أن الفلسطيني بطبعه يواجه ثلاث مستويات من السلطة، سلطة الاحتلال الإسرائيلي التي تحاول طمس وجوده بشكل مطلق وكامل، وسلطة الديكتاتور السياسي، وسلطة المجتمع الذي هو كأي تشكيل مجتمعي فيه تناقضات وفيه مشاكل يجب حلها.

ما يجب أن نفعله كفلسطينيين في الخارج هو أن نحاول بكافة الأدوات التي نمتلكها وأن نخترع الأدوات. يقتلني أن نقول إننا عاجزون. وبحجة العالم أجمع، ليس لنا إلا الدعاء ولا نملك إلا الدعاء. وأعتقد أنَّ كل شخص في محيطه المصغر يمكن أن يمتلك أداة وإن كانت بسيطة وصغيرة، إلا أنها يمكن أنْ تشكل فارقاً كبيراً في القضية الفلسطينية.

وللأسف، فإنَّ القضية الفلسطينية الآن حُصرت فقط في قطاع غزة الذي يعمل الاحتلال الإسرائيلي على تفكيكه وإعادة احتلاله من جديد، ولكن القضية الفلسطينية أكبر وأوسع وأشمل، وإن كانت الآن يعاد إنتاجها من خلال الإبادة على قطاع غزة.

ولربما أتمنى أن تكون هذه نقطة وعي جديدة على مستوى الحراك العالمي الذي نرى فيه تغيراً كبيراً. لا أدرى يا أحمد في أي منطقة أنت، ولكن هذه رسالة للجميع في أوروبا، أو في العالم العربي، أو في الشرق الأوسط بشكل عام، نحن الآن قادرون من خلال المؤسسات والأذرع التي لنا صلات بها على أن نخلق حالة مختلفة. التغيير لا يكون فقط من خلال يوم وليلة. نحن نصبح في وجه جديد، وإنما على مهل، وبشكل ناعم كما يريد العالم وبشكل ذكي في الوقت ذاته

بالنسبة للدكتور زيد كنت ذكرت إنني بنت برير. أنا بنت برير وبنت مخيم جباليا، وهو أيضاً المخيم الآن الذي يعمل الاحتلال على محو وطمس الذاكرة التي عاش فيها المخيم المقاوم الصامد الأسطورة الذي لم يستطع الاحتلال الإسرائيلي كسره على الإطلاق. ونعلم القادة الذين خرجوا من هناك، سواء كان الفعل المقاوم على المستوى العسكري أو على مستوى الاطفال.

أذكر في موقف صغير وبسيط وسريع جدتي حينما أتى وأنا في عمر الخمس سنوات الاحتلال الإسرائيلي على بيتنا يفتش عن شيء ما. فأنا بعفوية بسيطة، وببراءة الطفولة أردت طرد جندي الاحتلال الإسرائيلي من بيتنا. فكان الجندي يحاول ضربي بالسلاح الذي يملكه. جدتي ببساطة خلعت حذاءها، أعزكم الله وأكرمكم جميعا، وكانت ستضربه به.

هذا يفسر قمة الفعل المقاوم الذي نحن نتحدث فيه عن المستوى الفردي البسيط، فأعتقد أنَّ المرأة إذا كانت اخترعت أو دعتها الحاجة لخلق شيء ما أو للمواجهة. أعتقد أن أي فلسطيني يرى أنَّ القضية الفلسطينية أو أي إنسان يرى أن القضية الفلسطينية هي أساس واحتياج يومي ودفاع يومي ومقاومة يومية سيخترع الوسيلة التي يستطيع فعلها. وشكرا دكتور زيد والشكر موصول لك وللمركز. فعلا الموضوع جدا مهم وحساس، وأعتقد أنه سيشكل نقطة فارقة في وعي كل من يحضر هذه الندوات

د. صالح الشحري:

شكراً لكم جميعا على هذا الثراء المعرفي وهذا الجهد الطيب. وأرجو أن يكون له صداه. أنا فقط أريد أن أتحدث عن ثقافة الصورة. أنا أعتقد أنَّ كل واحد منا يجب أن يكون له متحف من الصور التي يجمعها ويعرف الأجيال القادمة بها، حتى جدة إسراء يجب أن تكون لها صورة، والحذاء الذي رفعته من الجيد أن تصوره وتكتب تحته حصل كذا وكذا وكذا، مثل نادر أبو الجبين في مرة وضع كتاب قاموس قضية فلسطين فيه طوابع البريد، والله أنا لما جمعت طوابع بريدية كانت تصدر أحيانا عن أي دولة عربية، عن أي مناسبة في فلسطين وكذا لما تقرأها تعيد لك سيناريو كل ما حدث، كل صورنا الشخصية فلسطينيين وعرب ومسلمين التي لها علاقة هي دعم للذاكرة الفلسطينية.

لا أريد أن أطيل، أنت بدأت بالشعر، لكن أنا أريد أن أعتذر دعني قليلا أذهب بالشعر، أنا أتذكر في هذه الحالة نتحدث عن أطفال فلسطين أتذكر أبيات فدوى طوقان:

كبروا في غابة الليل الموحش

كبروا في ظلمات الليل

كبروا أكبر من سنوات العمر

التحموا في كلمة حب سرية

حملوا أحرفها

إنجيلاً قرآناً يتلى بالهمس

وحين تلثموا بالكوفية

كانوا زهرة عباد الشمس

أنا لا أزال وكلنا نراهن على الأطفال القادمين، ونتمنى لهم بإذن الله أن يكون مستقبلهم أفضل، وهم سيكونون أكثر فاعلية في هذا النضال. يجب أن نوصيهم بأن يكونوا دائما أعلى من المستوى الذي وصلنا إليه. وإذا كنا اليوم نجد صعوبة في الذكاء الاصطناعي وما إلى ذلك، فهم سيجدون هذه المسائل أسهل وأفضل بالنسبة لهم. وأستودعكم الله. جزاكم الله خير وشكرا جزيلا للجميع. بارك الله فيكم

توصيات الندوة

ومن جملة ما طرح في الندوة من نقاشات وآراء، يمكن الخروج بالتوصيات الآتية:

1- العناية في المقاومة الثقافية بالفضاء الرقمي الذي أصبح اليوم منصة رئيسة لإيصال الرواية الفلسطينية خارج القيود التقليدية التي نعرفها جميعا من خلال التحكم بوسائل الإعلام المعتادة، ولا سيما وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت من أهم الأدوات لتفكيك السردية الاستعمارية، وتوثيق التجربة الفلسطينية، وبناء تعاطف وتعاضد دولي شبابي عالمي

2- تعزيز الجهود المشتركة على المستويين الفلسطيني والعربي لإعادة بناء الأرشيف السردي لفلسطين، في وجه ما يتعرض له من هجمات إسرائيلية مستمرة، والتحرك لإعادة تركيب المشروع الثقافي الفلسطيني، بما يسهم في إعادة تشكيل الهوية الثقافية وترميم الذاكرة الفلسطينية.

3- إعادة الاعتبار لتخصص «التاريخ» في الحياة الأكاديمية والثقافية في العالم العربي، بالنظر إلى أهمية هذا التخثث، وكونه مسرح المعركة الاستراتيجية مع الاحتلال الإسرائيلي، فإنَّ من يملك القدرة على كتابة التاريخ والتحكم في محتوى صندوق الذاكرة، سيخط بثبات وثيقةَ انتصاره حضارياً.

4- الاستفادة من مقاربات ما بعد الاستعمار (post-colonialism) في المقاومة الثقافية، وذلك بالنظر إلى التشابه بين الحالة الفلسطينية والحالات الأخرى الاستعمارية في أفريقيا، وغيرها، بحيث توظف النماذج الناجحة في مواجهة الاستعمار الثقافي.

5- تكريس مفهوم المقاومة الثقافية وبناء الذاكرة في التعليم وفي الأدب والسينما وغيرها من المجالات ذات التأثير الواسع.

6- تعزيز دور الجاليات الفلسطينية والشتات في حفظ الرواية الثقافية، وأعادت إنتاج الثقافة والهوية الفلسطينية بوسائل جديدة، وبلغاتٍ متعددة، مع تعزيز قدرة هذه الجاليات على التأثير الخارجي.

7- التركيز في السياقين الفلسطيني والعربي على البعد المؤسسي للمقاومة الثقافية، بحيث تتجاوز الجهود الفردية المتفرقة، إلى العمل المؤسسي المنهجي والمستدام، من أجل إيجاد قوة مكافئة ومناوئة للاحتلال الإسرائيلي الذي يعمل من خلال مؤسساته الاستعمارية على محو الذاكرة الفلسطينية، وفقاً لخطط منهجية طويلة الأمد.

8- تعزيز التعاون مع المنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان من أجل التصدي لما تقوم به إسرائيل من الإبادة الرمزية «ميموري سايد»، مع الضغط من أجل رصد الانتهاكات الإسرائيلية بحق التراث الثقافي الفلسطيني، ومحاسبة المسؤولين عنها.

9- الاستثمار في تكنولوجيات الذكاء الاصطناعي وتزويدها بالمعرفة والمعلومات الموثوقة بشأن تاريخ فلسطين وثقافتها وذاكرتها، حتى لا تصبح الأجيال المستقبلية أسيرة لأدوات الذكاء الاصطناعي الرائجة حالياً والتي تتحكم بمعظمها بشكل رئيسي الشركات المرتبطة بالمشروع الصهيوني.

10- تطوير مشروع ثقافي وطني فلسطيني جامع ينسق الجهود ويشكل جبهة متماسكة في مواجهة عدوان الاحتلال على الذاكرة الفلسطينية، متجاوزاً جميع الانقسامات، وواضعاً نصب عينه حماية الذاكرة الفلسطينية وضمان بقائها حية للأجيال المقبلة.

11- العناية بالصورة، بحيث يكون لدى كل فلسطيني في الداخل أو في الشتات متحف من الصور التي توثق حياته، كي يكون هذا المتحف وثيقة تاريخية.

الطاولة المستديرة

25
since 2000
Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي

www.ar.grc.net

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre
Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center
Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium